

كتب بالإنكليزية

**الموت في أرض الميعاد:
فلسطين والمسيحية الفلسطينية
منذ العنصرة حتى سنة 2000***

**Dying in the Land of Promise: Palestine
and Palestinian Christianity from
Pentecost to 2000
Donald E. Wagner
London: Melisende, 2nd rev. ed., 2003.
307pages. \$21.95 paper.**

دونالد واغنز قس إنجيلي من الكنيسة المشيخية، وهو المدير التنفيذي لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة نورث بارك في ولاية إلينوي. وقد ساقه حبه للتعلم والبحث عن الحقيقة، كمؤمن ثابت الإيمان وكأكاديمي، إلى الانتقال من موقف مؤيد لإسرائيل في أعوام شبابه إلى رؤية أشمل للصراع العربي - الإسرائيلي. وقد ظهر هذا التحول في خمسة منشورات على الأقل، وفي كثير من الفصول والمقالات التي كتبها في عدد وفير من الدوريات، والتي تركز على المسيحية في إسرائيل. وكتاب "الموت في أرض الميعاد..." هو أحدث مؤلفاته الكثيرة. وانطلاقاً من قناعته بضرورة فهم أدق للشرق الأوسط وللصراع العربي - الإسرائيلي وأصدائه، ساهم سنة 1986 مع آخرين في تأسيس هيئة الإنجيليين من أجل فهم الشرق الأوسط، وعمل مديراً لها على مستوى الولايات المتحدة مدة عشرة أعوام حتى سنة 2000.

يعرض واغنز في كتابه هذا واقع كون المسيحيين الفلسطينيين جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني كما يتبين من تفصيلات التاريخ الحديث والقديم. ويعرب واغنز عن قلقه لتناقص أعداد المسيحيين الفلسطينيين. وهو يعتبر هذا التطور مرتبطاً بمختلف السياسات الإسرائيلية الرامية إلى التنكر لحقوق الفلسطينيين، وتجريدهم من الأرض، وإجبارهم على الهجرة منذ سنة 1948. الكتاب موسوعة مختصرة لتاريخ الكنيسة في الأراضي المقدسة، مع وضع المسيحيين الفلسطينيين في سياق كل من المراحل التاريخية المتوالية. ويشير واغنز، في هذه الطبعة المنقحة - الطبعة الأولى صدرت سنة 2001 - أيضاً إلى تأثير الانتفاضة الحالية التي بدأت في أيلول/سبتمبر 2000 في الفلسطينيين. والهاجس الذي يساوره، كما يساور خبراء السكان، هو أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي وما يستتبعه من تدابير مستمرة للسيطرة والاحتواء، يحمل مزيداً من الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين على مغادرة أراضيهم، بحيث تفرغ الأرض من حارتها الحية. إن انخفاض أعداد المسيحيين الفلسطينيين يشغل بال واغنز لأن عددهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة لا يصل إلى 50.000 نسمة، بينما لا يتعدى عددهم داخل إسرائيل نفسها سنة 1948، وهو انخفاض عن 15% في نهاية القرن التاسع عشر. وفي المقابل، ثمة أكثر من ربع مليون مسيحي فلسطيني في مجتمعات الشتات، من سيدني في أستراليا إلى سان بدرو سولا في هندوراس.

والواضح أن تلاقي اليهود واجتماع شملهم في إسرائيل أدباً إلى عملية اقتلاع للفلسطينيين، وفي جملتهم المسيحيون، من فلسطين. وقد سارت العمليتان معاً: انبعاث من جهة، واقتلاع وموات من جهة أخرى. ومثال الجماعة المسيحية الفلسطينية ربما كان أفضل تعبير عن عمليتي الانبعاث والموت المترابطتين. ويبرز واغنز، بصورة منهجية وطول أناة، التحولات التي طرأت على المسيحية الفلسطينية المحتضرة، من خلال تفصيلات تاريخية وسياقية. أمّا بالنسبة إلى القارئ، الذي يطلب مزيداً من التركيز على الوقائع الحالية للمسيحية الفلسطينية، فقد يكون هذا مشوشاً للانتباه. غير أن غاية واغنز هي إظهار الآثار المدمرة التاريخية وغيرها لزوال

المسيحيين الفلسطينيين. ثمة أعداد من المسيحيين أكبر نسبياً من أعداد المسلمين الفلسطينيين يغادرون فلسطين. لكن إرادة البقاء التي يظهرها المسيحيون الراضون للمغادرة تتمثل في موقف سيدة مسيحية من رام الله، في الخامسة والستين من عمرها، أصرت، في أحد الاستطلاعات المستهدفة سبر النية في المغادرة، وجواباً عما إذا كانت تود الالتحاق ببقية أفراد الأسرة في الخارج، على أنها ستبقى متعلقة بالأرض وإن اضطرت إلى العيش على الزيت والزعتر؛ وهي أكلة شعبية فلسطينية.

إن التحدي الذي يصر عليه هؤلاء الفلسطينيون، من مسيحيين ومسلمين على السواء، في التعلق بالأرض هو الأمل بتجدد فلسطين. إن إسرائيل ومسانديها من المسيحيين الصهيونيين، ولا سيما في الولايات المتحدة، يتلاعبون بالمسيحية أيديولوجياً لتلائم الأجندة السياسية للاحتلال العسكري الإسرائيلي وما يستتبعه من اقتلاع الفلسطينيين. لكن ما هي مسؤولية المسيحية وتراثها التوراتي في وجه هذا الصراع الذي يظهر أن لا نهاية له؟ يبدو أن واغتر يشدد على أن الجواب يكمن في العدالة. بهذا المعنى نجد أن كتابه مناشدة للمسيحيين الغربيين، ولا سيما أولئك المتعاطفين مع إسرائيل على أسس توراتية، إعادة النظر في موقفهم، وخصوصاً عندما يقود هذا الموقف إلى التنكر للجماعة المسيحية الفلسطينية وزوالها بعد أن وجدت في الأراضي المقدسة منذ بداية المسيحية.

برنارد سابيللا

أستاذ مشارك في علم الاجتماع

في جامعة بيت لحم

(*) المصدر: Journal of Palestine Studies, vol. xxxiv, no.1 (Autumn 2004), pp. 82-83.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر: http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx